مصيف مصر

قلما مرَّ يوم مدة اقامتي في اوربا هذا الصيف الاَّ خطر ببالي امر المصيف الصالح لسكان القطر المصري الذين تمكّنهم احوالهم المالية من قضاء فصل الصيف في مكان قليل الحر طيب الهواء او تضطرهم صحتهم الى ذلك

ولا بدَّ للمصيف من ان يكون جامعاً لثلاثة شروط على الاقل وهي طيب هوائهِ وسهولة المعيشة فيهِ وسهولة الوصول اليهِ

اما الشرط الاول وهو طيب الهواء فكل البلاد الجبلية العالية الواسعة الخلاء طيبة الهواء ولاسيما اذا كان فيها غدران وتلاّلات ومياه جارية متدفقة وحراج عطرية الشجر. اذ قد ظهر الآن بالبحث العلمي ان نور الشمس في الاماكن العالية يؤثر تأثيراً صحياً في الهواء والماء وان الماء الجاري المتكسر على الصخور يصلح الهواء بما يولّد فيهِ من الاوزون . والاشجار العطرية تزيد في صلاحهِ . وهذا كلهُ مؤيدٌ لما اعتقدهُ الناس في كل العصور وهو ان هواء الجبال وماءها اصلح للابدان من هواء السهول والاودية ومائهما ولو لم يكونوا يعلمون السبب العلمي

والشرط الثاني لا يقل اهمية عن الاول ان لم يكن اهم منهُ وهو سهولة المعيشة من حيثُ المأكلُ والمشرب والمأوى والانتقال والنزهة فان هذه الامور كلها من الضروريات ولاسيما لطالبي الصحة والراحة لان الانسان لا يعيش على الهواء والماء وحدهما ولا يرتضي ان يتحمل المشقة وشظف العيش اياماً كثيرة متوالية . ولا يطيب لهُ عيش حيث لا يجد الاَّ السآمة والضجر لاسيما وانهُ لا يكون لهُ عمل يشغلهِ تلك الايام

والشرط الثالث وهو سهولة الوصول الى المصيف ضروريٌّ في الذهاب اليهِ وفي الرجوع منهُ من حيث الصحة ومن حيث النفقة . ففي الذهاب يكون الجسم ضعيفاً متعباً فتؤثر فيهِ مشقة السفر تأثيراً شديداً وفي الاياب يشقُّ على المرء ان يخسر في يوم او بضعة ايام ما كسبهُ في شهر او اشهر. وقد لا تكون الخسارة كبيرة ولكن الخوف منها يزيدها ضرراً . والنفقة عند اكثر الناس محدودة فاذا زادت عن الامكان بطول الشقة وغلاء الحاجيات والمكاليات في المصيف صار قضاء الصيف فيهِ ضرباً من المحال

وقد اعتاد المصطافون من سكان القطر المصري ان يقضوا الصيف إما في اوربا او في

جبل لبنان . والذين يذهبون الى اوربا يصيفون غالباً في سويسرا او في جهات فرنسا او المانيا او ايطاليا او انكلترا ويختارون في الغالب البلاد الجبلية العالية . واكثر الاماكن التي يختارونها لقضاء فصل الصيف متوفر فيها الشرط الاول تمام التوفُّر . فالهواء طيب مقوٍّ للابدان الاَّ اذا اختاروا المدن المزدحمة بالسكان مثل باريس حيث لا يجد الانسان لغرفته الاَّ كوةً واحدة تفتح الى منور او شارع وقضى جانباً كبيراً من وقته في القهوات والتياترات حيث يتنفس هواء تنفَّسهُ الوف قبلهُ . نعم ان المدن الكبيرة مثل باريس ولندن وڤينا فيها متنزهات واسعة مطلقة الهواء طيبةٌ ولكنك قلما ترى فيها احداً من سكان مصر المصطافين هناك والغالب ان يقضي الرجال نهارهم في القهوات والنساء عند الخياطات ثم يجتمع الفريقان في التياترات

والانتقال في مدن اوربا وضياعها من اسهل ما يكون ولاسيما بعد شيوع الاوتوموبيل . والسكك حمَّدة منظمة . واماكن النزهة كثيرة بالغة حد الاتقان تشرح الصدر وتسرُّ الخاطر . ووسائل التسلية كثيرة جدًّا ولاسيما في المدن ومنها ما يسلي ويفيد كالمعارض العمومية على انواعها . يقضي الانسان شهراً او شهرين في باريس يتردَّد على معارضها فيرى كل يوم شيئاً جديداً مفيداً بل لو قضى السنين لرأى كل يوم اشياء لم يرَها قبلاً

كل غرفة من غرف الاسطحة في الانفاليد تستحق ان يقيم فيها المرء يومين او ثلاثة يدرس ما فيها . وكل غرفة من غرف الصور والتماثيل والآثار والامتعة في معرض اللوفر تستحق ان يقيم فيها المرء اسبوعاً يدرس ما فيها وقس على ذلك معارض مدينة لندن

والمدن الصغيرة مثل جنيفا ولوزان لا تخلو من المعارض الجامعة للآثار والتحف والامثلة الحيوانية والنباتية فيرى فيها المرء ما يسليهِ ويفيدهُ ناهيك بمشاهد التماثيل المختلفة ومشاهد السينماتوغراف التي شاعت في هذه الايام حتى في اصغر المدن الاوربية

ثم ان الفنادق على غاية الاتقان وفيها كل معدات الراحة . اني اكتب هذه السطور بمدينة باريس في غرفة يدفئها الماء الحمي يدخلها في انبوب ويملأ اناءً كبيراً كثير الاضلاع فيسخنهُ ويدفئُ الغرفة . وتنار بالكهربائية وفيها ساعة تديرها الكهربائية ايضاً وجرس كهربائي واصعد اليها برافعة يحركها الهواء المضغوط . نعم ان كراها لا تطلُّ على الجبال والحراج ولكنني كنت منذ ساعة في حديقة قصر لكسمبرج وهي غاب لا يبلغ الطرف حدَّهُ حافل بالاشجار والازهار والفساقي والتماثيل والماشي الواسعة وباريس ليست من المصايف لكنني كنت في الاسبوع السابق في مدينة لوزان بسويسرا وكانت كوة غرفتي تطل على حديقة

غناء امام الفندق و بعدها بحيرة جنيفا منبسطة كالمرآة ووراءها الجبل الابيض بقممه الشاهقة وقد كسا الثلج بعض هضباته فبان عليه كطرائق اللجين . وان شئت فمشي عشر دقائق يوصلني الى دار التحف او الى غاب ملتف الاشجار او حديقة موشاة الخمائل ببدائع الازهار . وكل وسائل الراحة والرفاهة والنزهة متوفرة لكل مصطاف لا يشوبها الا كثرة الخدم في الفنادق فانك كيفما تحركت ترى واحداً يأتي لمساعدتك غير مطلوب لكي تزيد نفقاتك عن الحد الذي قدرته . ثم ان اكثر الطعام لحم . لحم غنم ولحم بقر ولحم خنزير ولحم سمك ولحم طير ثلاثة الوان على الاقل من اللحم في الغداء واربعة في العشاء وان كنت في بلاد الانكليز فلون او لونان في الصباح ايضاً . ذلك ما لم تألفه اكثر المعد الشرقية ولا هو اصلح للصحة من الطعام القليل الالوان القليل اللحم ولكن الشرقي غير مكلف بالاكل منها كلها

والفاكهة فاكهة الصيف والصيف ابانها كثيرة قليلة . كثيرة في البساتين والاسواق ولكنها قليلة في الفنادق يضعون امامك في اسبوع ما تأكله في بلادك في يوم . كثراة وخصلة من العنب لمن يأكل رطلاً من الكثرى والة من العنب . ذلك ما لم تألفه ولا ترضى به . واذا طلبت الفاكهة في غير اوقات الطعام او طلبتها في الصباح فثمن الكثراة او عنقود العنب فرنك او نحوه . اواه على لبنان اقة العنب بنصف غرش او بغرش . وما ادراك ما العنب الذي يقدم في الفنادق والمطاعم في البلدان الاوربية . عنب فلا يؤكل كثير الحجم سميك الجلد اما العنب الجيد الكبير الحب اللذيذ الطعم فاقته بعشرة فرنكات الى اثني عشر فرنكاً . فالمعيشة في هذه البلاد غالية جداً على كل حال ولا بد للمصطاف من ان ينفق مضاعف ما قدره

هذه هي اكثر الحسنات واكثر السيآت في الشرطين الاولين . نأتي الآن الى الشرط الثالث وهو الوصول الى المصيف

قضيت من بورت سعيد الى مرسيليا ستة ايام بلياليها واتفق ان كانت السفينة من اكبر السفن وانظفها وكان البحر رهواً يعبث به النسيم فيغضن وجهه ولا يزبد فلم يكن سبيل للشكوى ومع ذلك لم يطمئن بال احد الا الذين لا يصيبهم دوار ولو اشتد النوء . اما نحن الذين نخاف الدوار فلو اصابنا نوء كما اصابنا احياناً لتمنا السفر ووددنا ان نلقى على البر ولو في قفر فاحل . ثم بلغنا مرسيليا والشمس غاضبة على الارض ترشقها بسهامها

يوم من الشعرى يذوب لعابه افاعيه في رمضائه تتململ

فاسرعنا الى اول قطر ركبناه تخلصاً من الحر . وما السفر من القاهرة الى بورت سعيد في

يوم من ايام الخماسين او من القصر الى اصوان في تلك الايام باشد وطأة من الساعات الاولى التي قضيناها الى ان مالت الشمس عن الهاجرة وبرد الهواء وصرنا في بلاد جبلية

هذا حالنا في المجيء الى اوربا وما ندري ما يكون حالنا في الرجوع منها وامامنا غصص في السفر برًّا وبحرًا وقد تجرَّعنا بعضها في المجيء من لوزان الى باريس فان الهواء برد في الطريق بغتةً ووقع الثلج حتى كسا الارض والاشجار . ثم تعاقبت ايام الحر والبرد والصحو والمطر فلا ندري في ليلنا ما يكون نهارنا ولا في صباحنا ما يكون مساؤنا

اما لبنان فالوصول اليه في يوم او يومين . واذا اشتد النوء وساءت حال السفينة فهي ليلة وتنقضي . والهواء والماء على اطيب ما يكون ولا سيما في الاماكن العالية . فالشرطان الاول والاخير متوفران ولكن الشرط الثاني وهو سهولة المعيشة ففيه نظر . السكك والفنادق والبيوت صارت كلها اصلح كثيراً مما كانت منذ عشرين سنة ولكنها لا تقاس بما في اوربا فينقصها شيء كثير حتى تتوفر فيها معدات الراحة وهذا الشيء ليس كبير النفقة ولكنهُ ضروري . اشير الى النظافة اولاً . النظافة في ادوات الطعام وغرف المائدة وغرف الجلوس ولوازم الفرش ثم الى نظافة الخدم حتى لا تعاف العين رؤيتهم . والاكثار من الحمامات والكنف في الفنادق والبيوت المعدة للايجار ويجب ان تكون كلها نظيفة متقنة مجهزة بالمصمات (السيفون) حتى لا تنبعث منها رائحة خبيثة على الاطلاق . واذا زار اصحاب الفنادق اللبنانية سويسرا ورأوا فنادقها حتى التي في المدن الصغيرة والقرى الكبيرة اتضح لهم المراد وعرفوا كيف يقلدونها

وقد قصد الناس سويسرا للاصطياف فيها منذ سنين كثيرة ولكن زاد عددهم اضعاف الاضعاف في هذه السنين الاخيرة وصاروا يقصدونها صيفاً وشتاء وعلى مدار السنة ولا يقلُّ دخلها منهم الآن عن خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات كأن موسم السياح في سويسرا مثل موسم القطن في القطر المصري مع ان سكانها نحو ثلث سكان القطر المصري فاتسعت مدنها وأنشئت فيها قرى جديدة و بنيت بيوت كثيرة في القرى القديمة حتى انك لا تجد في قرنا على قرط غناها قرًى تماثل قرى سويسرا في كثرة المباني الجديدة وجمالها . وقد دهشت من كثرة ما جد فيها من المباني منذ عشرين سنة الى الآن

رأيت مدينة لوزان منذ تسع عشرة سنة ورأيتها الآن فاذا مبانيها تضاعفت وانشئ فيها بناء لبريد يفضل بناء البوستة في القاهرة عشرة اضعاف في نظامه وجماله ولا نسبة بين البنائين في وجه من الوجوه . مع ان بوستة القاهرة لمدينة فيها سبع مئة الف نفس والقطر

فيه ١٢ مليوناً وبوسطة لوزان لمدينة سكانها ستون الفاً او اقل . وبناء البنك الاهلي في لوزان يفضل بناء البنك الاهلي في القاهرة كما يفضل الذهب النحاس . وفي هذه المدينة الصغيرة من الكباري (الجسور) والمباني العمومية كالمتاحف والمدارس ما يدهش النظر في عظمته وجماله وفيها وحولها من الحدائق والمتنزهات ما لا تذكر معهُ حديقة الازبكية . ولا يظهر لي ان لاهلها دخلاً غير ما يكتسبونهُ من الفنادق والمدارس فانك قلما ترى احداً في الدكاكين والمخازن غير تلامذة المدارس ونزلاء الفنادق من انكليز واميركيين وفرنسويين وروسيين وايطاليين واسبانيين وبرازيليين ومصريين ومن كل امة تحت الشمس يشترون الثياب والحلى والجواهر والفنادق تظمهم وهي ملاى بهم دائماً ولا تقل نفقة كل نفس عن جنيه في اليوم على المتوسط فاذا بلغ عددهم في تلك المدينة خمسة آلاف نفس كل يوم بلغ ما ينفقونهُ في ٣٠٠ يوم من السنة مليوناً ونصف مليون من الجنيهات

ويظهر لي انهُ لو تمَّ لبنان ما تمَّ لسويسرا من حيث تسهيل وسائل المعيشة والراحة للمصطافين فيهِ كما هي في سويسرا لصار المصيف الوحيد لسكان القطر المصري ولقصدهُ نحو اربعين الفاً منهم كل سنة او عشرة آلاف عائلة . لكن هذه الغاية لا تنال ما لم تضعها حكومة لبنان نصب عينيها وما لم يسعَ اليها سكان لبنان من الآن . فالحكومة تفعل مثل حكومة سويسرا اي توسع كل السكك العمومية وتمهدها وترصفها حتى تصير صالحة للاوتوموبيل وتوصل البريد والتلغراف والتلفون الى كل المدن والقرى الكبيرة وتساعد كل المشروعات التي يراد بها استخدام قوة المياه لانارة المدن والقرى بالكهربائية . والمجالس البلدية تشرع من الآن في توسيع السكك في المدن والقرى ورصفها ورشها وغرس الحدائق فيها وحولها . واصحاب الفنادق والبيوت المعدَّة للايجار يعتنون بنظافتها وفرشها وخدمتها واضافة ما يلزم اليها من التدابير الصحية

اما الحكومة والمجالس البلدية فلا تستطيع ان تعمل هذه الاعمال الاَّ اذا تضاعف دخلها ضعفين او ثلاثة . وهذا ميسور للحكومة اذا اعادت المسح وضربت الضرائب الكافية على كل ما لهُ ريع . ولا يكثر عليها ان تأخذ عشر الريع او خمسهُ ولا خسارة من ذلك لان ما تأخذهُ تنفقهُ في الجبل فكأنها لا تاخذ شيئاً . والنفقات كلها رأس مال وذخر للجبل يزيد بهِ ريع سكانهِ ويغني جانباً كبيراً منهم عن المهاجرة

ومتى كثر عدد المصطافين في لبنان راجت الصناعة فيهِ وراجت التجارة ايضاً فيهِ وفي المدن المجاورة لهُ